دروس في النقد الأدبي القديم

مفهوم النقد الأدبي وتطوره

يعتبر النقد القاعدة الأساسية التي يرتكز عليه النقد الأدبي، وذلك أن أسسه مستوحاة من العمل الأدبي، فهو يستكشف أصالة الأدب أو عدم أصالته ، ويميز جيده من رديه، وسواء كان النقد علماً أو فناً فإنه ليس قائماً بذاته ، وإنما هو متصل بالأدب ، ويستمد منه وجوده ، ويسير في ظله ، يرصد خطاه و اتجاهاته"[1].

وإذا كان الأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية والتجديد واكتشاف آفاق جديدة يحلق فيها ويعبر عنها ، فإن النقد على العكس من ذلك ، إنه محافظ مقيد، يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية يقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف ، والحسن والقبح، وإصدار الأحكام عليها"[2].

- معاني النقد في اللغة:

تعددت معاني النقد في اللغة ، فمنها تمييز الدراهم وغيرها وتبيين جيدها ورديئها، وذلك ما أنشده سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة *** نفي الدنانير تنقاد الصياريف [3].

ومن معانيها أيضاً " النقاش" يقال ناقد فلان فلاناً في الأمر، إذا ناقشه فيه، ومن هذا المعنى الأصلي للكلمة تحدد معنى النقد في الأدب. ذلك لأن ما يفعله الناقد من محاولة التمييز بين جيد الكلام ورديئه ، ليس إلا من جنس ما يفعله الصيرفي في نقد الدراهم والدنانير"[4] .

- المفهوم الاصطلاحي للنقد :

فقد نجد للنقد تعريفات في المفهوم الاصطلاحي ، كالكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي ، وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل ، ومن يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها ، ومن أوائل النصوص النقدية التي تتضمن كلمة نقد نص لابن سلام الجمحي في كتابة طبقات فحول الشعراء ، حيث قرر أن للشعر " صناعة

وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه الأذن ، ومنها ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان ، زمن ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة بالبصر : ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا بلمس و لا طراز ولا رسم ولا صفة ، ويعرف الناقد عند المعاينة فيعرف بمخرجها وزائفها.."[1].

وقد نجد نقد مائلة عند قدامة في كتابه " نقد الشعراء" ... ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر جيده من رديئه كتاباً ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أول بالشعر من سائر الأقسام المعهودة "[2].

وأننا نجد كتباً أخرى قد تطرقت للنقد الأدبي من روايا وجوانب مختلفة ، فمن هذه الكتب : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وعيار الشعر لابن طباطبا ، والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني والأغاني للصفهاني، والذخيرة لابن بسام.

فالدارس لمثل هذه الكتب حري بأن يرى أن العرب قد عرفوا " النقد الأدبي "معنى لا اسماً، أو عرفوه كما يقول الأستاذ طه إبراهيم كنها وحقيقة ، وإن لم يعرفوه عنواناً لطائفة من المسائل"[3].

ونستشف من ما سبق ان المفهوم الاصطلاحي لكلمة نقد هو تمييز جيد الشعر من رديئه والذي سيبقى هو المفهوم الشائع عند النقاد القدامى .

- **مراحل تطور النقد الأدبي :**

أ- مرحلة ما قبل التدوين :

- وهذه المرحلة تبدأ من العصر الجاهلي حتى مطلع العصر العباسي بدأت هذه المرحلة بالنقد الساذج البسيط الذي يصدر بطريقة عفوية وشفوية دون تدوين أو ضوابط ويسمى بالنقد الانطباعي التأثري .

وعندما ننظر للشعر الجاهلي نجد أنه وصل إلى مستويات عالية من الجودة والإتقان، حيث خضع لأنواع من التهذيب حتى بلغ مبلغ الكمال من الإتقان. وظهر ذلك من خلال المعلقات إذ يراجع الشاعر قصيدته ويعيد النظر فيها فتمكث حولاً كاملاً عنده يحسنها ويهذبها ويقومها كما يظهر عند أصحاب الحوليات، وكانت أسواق العرب في الجاهلية . وأشهرها سوق عكاظ ودي المجازودي المجنة مركز تلاقي الأدباء فيجتمع فيه الشعراء من قبائل

وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه الأذن ، ومنها ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان ، زمن ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة بالبصر : ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا بلمس و لا طراز ولا رسم ولا صفة ، ويعرف الناقد عند المعاينة فيعرف بمحرجها وزائفها.."[1].

وقد نجد نقد مائلة عند قدامة في كتابه " نقد الشعراء" ... ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر جيده من رديئه كتاباً ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعهودة "[2].

وأننا نجد كتباً أخرى قد تطرقت للنقد الأدبي من روايا وجوانب مختلفة ، فمن هذه الكتب : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وعيار الشعر لابن طباطبا ، والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني والأغاني للصفهاني، والذخيرة لابن بسام.

فالدارس لمثل هذه الكتب حري بأن يرى أن العرب قد عرفوا " النقد الأدبي "معنى لا أسماً، أو عرفوه كما يقول الأستاذ طه إبراهيم كنها وحقيقة ، وإن لم يعرفوه عنواناً لطائفة من المسائل"[3].

ونستشف من ما سبق ان المفهوم الاصطلاحي لكلمة نقد هو تمييز جيد الشعر من رديئه والذي سيبقى هو المفهوم الشائع عند النقاد القدامى .

- **مراحل تطور النقد الأدبي :**

أ- مرحلة ما قبل التدوين :

- وهذه المرحلة تبدأ من العصر الجاهلي حتى مطلع العصر العباسي بدأت هذه المرحلة بالنقد الساذج البسيط الذي يصدر بطريقة عفوية وشفوية دون تدوين أو ضوابط ويسمى بالنقد الانطباعي التأثري .

وعندما ننظر للشعر الجاهلي نجد أنه وصل إلى مستويات عالية من الجودة والإتقان، حيث خضع لأنواع من التهذيب حتى بلغ مبلغ الكمال من الإتقان. وظهر ذلك من خلال المعلقات إذ يراجع الشاعر قصيدته ويعيد النظر فيها فتمكث حولاً كاملاً عنده يحسنها ويهذبها ويقومها كما يظهر عند أصحاب الحوليات، وكانت أسواق العرب في الجاهلية ، وأشهرها سوق عكاظ ودي المجازودي المجنة مركز تلاقي الأدباء فيجتمع فيه الشعراء من قبائل